الملامح المشتركة للديانات الصينية والاسلام

Common features of Chinese religions and Islam

ا. د. محمد فهد حسين

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الانسانية

Prof. Dr. Muhammad Fahd Hussein
University of Wasit / College of Education for Human Sciences
mfahad@uowasit.edu.iq

الملخص

ان التشابه والتقارب ما بين الديانات الصينية والاسلام ، هو في الحقيقة امر مسلم به ولا يمكن انكاره، حيث يلاحظ ان الكثير من المصطلحات ولاسيما المصطلحات الكونفوشيوسية قد تم اخذها لشرح الافكار الاسلامية من القران الكريم والسنة النبوية، أضافة الى انه في كثير من الاحيان تم التوفيق بين الافكار الكونفوشيوسية والافكار الاسلامية لتحمل مسؤولية الدعوة الى الاسلام ونشر ثقافته عن طريق التبادل والتوفيق وطرح الافكار القيمة بشكل منهجي حول التطور الاسلامي في الصين بيت المسلمين وغيرهم ،

كلمات مفتاحية : (الصين – الاسلام – اديان – حوار – قرآن)

ABSTRACT

The similarity and closeness between the Chinese religons and lslam is. In fact. A given and cannot be denied. As it is noted that many terms. Have been taken to explan lslamic ideas from the Holy Quran and the Sunnah of the prophet. In addition to that. In many cases, Confucian ideas have been reconciled. And lslmic ideas to bear the responsibility of lslam and spreading its culture through exchange and reconciliation and presenting valuable ideas in systematic manner about lslamic development in China. The home of Muslims and others

Keywords; China- lslam- Religions- Dialogue- Quran

المقدمة

تعد الحضارة الصينية من اهم الحضارات القديمة , وقد امتازت هذه الحضارة بعزلتها وخصوصيتها وعدم احتكاكها مع الحضارات الاخرى الا بعد قرون طويلة من نشأتها , كما تتميز ايضا بغناها الروحي الكبير , فضلا عن تأصل مفهوم الواقعية والعمل والانجاز العملي في موروثها الديني والاجتماعي , وعند مناقشة الفكر الديني في الصين القديمة نجد انه تمثل بثلاث ديانات رئيسة وهي : الطاوية والكونفشيوسية والبوذية ,

ولكل ديانة من هذه الديانات بناء وظيفي ومعرفي وهيكلي لنظام ديني متصور , وبما ان الاعتقاد بالإله هو اهم ركن من اركان الفكر الديني لذا جاء التركيز على هذا المحور في الصين القديمة .

ولكي تكون دراسة التاريخ دراسة حية ومثمرة ومفيدة لوقتنا الراهن , فقد جاء البحث بفرضيته التي تتحدد بالإجابة على السؤال الاتي : هل كانت هناك ملامح مشتركة ونقاط تلاقي بين الديانات الصينية القديمة من جهة , وبين الديانة الاسلامية من جهة اخرى من جهة الاله المعبود ؟

ان البحث في هذا الموضوع مهم جدا ذلك انه يسلط الضوء على تفسير منطقي وعقلي لمناطق التلاقي في عقيدة الاله لكلا الديانتين , فضلا عن ذلك فهو يسهم في دحض مفهوم صدام الحضارات الذي يتم الترويج له , والذي يمنع فرصا من التلاقي والحوار والازدهار ويستبدلها بمفهوم التصادم والصراع والازاحة , وفوق كل ذلك فهو يسهم في ايجاد مساحات مشتركة بين الشعوب في وقتنا الراهن بعد ان نعرف كمية التلاقي بين اسلافها في العصور القديمة . مع عدم اغفال امر مهم وهو ما تمثله الصين في الوقت الراهن من عملاق اقتصادي وسياسي كبير فرض نفسه على الساحة الدولية , ما يؤكد اهمية معرفة ما يحيطه من تاريخ وجغرافيا وعقائد واجتماع وسياسة لغرض التواصل معه والاستفادة الايجابية منه .

وكمثال على ذلك فقد وردت في الفكر الديني الصيني القديم مفردة (تيان) وتمثل القوة الخارقة للطبيعة والتي تتحكم بمصائر النا س وقد ترجمت في بعض الاحيان ب (السماء) , وبغض النظر عن كونها تشير الى كيان او جهة او مكان فهي تدل على قوة خارقة مهيمنة .

كما عبد في الصين الاله الواحد الاعظم واطلق عليه لقب (دي) او (شانغ وي) وهو اله ارفع كلي القدرة تخضع الطبيعة كلها لمشيئته . وهو المهيمن الاعظم للسماء وتخضع لإرادته جميع تغيرات الطواهر الطبيعية والانشطة الحياتية المختلفة في هذه الدنيا .

وعند مناقشة هذه المحاور مع الديانة الاسلامية نجد ان القران الكريم قد ذكّر بوجود اله اعلى من بقية الالهة وهو الله تعالى , وخصه بالعبادة والقدرة والعلو على بقية من يسميهم البعض تجوزا ب (الالهة) , فضلا عن تطور فكرة هيمنة الاله على مصائر البشر وجهات الكون بشكل تام وعام .وهذا ما سنبحثه في ثنايا البحث ضمن فقرتين : الاولى تناولت التشابه في صفات الاله , والثانية : التشابه في عملية الخلق الكونية .

الاشكالية:

تنطلق الدراسة من اشكالية مهمة جدد وهي (ما هو وجه الشبه والتقارب بين الديانة الصينية والاسلام)؟

الفرضية:

تقوم الدراسة على فرضية مفادها (ان للديانة الصينية ملامح وروحانية متشابهة مع الديانة الاسلامية سواء كانت بشكل مباشر او غير مباشر).

المنهجية:

استخدم الباحث المنهج التاريخي فضلا عن المنهج التحليلي الوصفي.

الهيكلية:

تم تقسيم البحث الى محورين ، تناولنا في المحور الاول التشابه في المصطلحات الدينية بين الديانتين، وفي المحور الثاني تناولنا – التشابه في عملية الخلق الكونية

المحور الاول– التشابه في الصفات

عند البدء بإيجاد اوجه التشابه بين صفات الاله في الديانات الصينية والاسلام , فقد ورد انه عُبد في الصين الاله الواحد الاعظم واطلق عليه لقب (دي) او (شانغ وي) وهو اله ارفع كلي القدرة تخضع الطبيعة كلها لمشيئته [1], وتخضع لإرادته جميع تغيرات الطواهر الطبيعية والانشطة الحياتية المختلفة في هذه الدنيا .[2] اما في الديانة الاسلامية فقد عبد الله تعالى وحده وهو الذي تخضع له جميع المخلوقات والتغيرات والطواهر , حيث يرد في القران الكريم حول ذلك :" " قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ " [3].

كما جاء في الفكر الديني الصيني القديم مفردة (تيان) وتمثل القوة الخارقة للطبيعة والتي تتحكم بمصائر الناس وقد ترجمت في بعض الاحيان ب (السماء) [4]. وبغض النظر عن كونها تشير الى كيان او واجهة او مكان فهي تدل على قوة خارقة مهيمنة . وفيما يخص الديانة الاسلامية بهذا الجانب فقد جاءت

١ان شنغ , تاريخ الفكر الصيني , ترجمة : محمد محمود , المنظمة العربية للترجمة والنشر : بيروت – ٢٠١٢, ص ٥٧.
٢ ناصر رحيم عجيل , التحولات السياسية والفكرية في الصين القديمة ٧٧١- ٢٢١ ق.م , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية – جامعة واسط , ٢٠١٨ , ص ٦٤.
٣ الرعد: ١٦.
٤ ويل ديورانت , قصة الحضارة , ترجمة : زكي نجيب محمود , بيروت , ص ٢٥٧.

الاشارة الى السماء انها جهة عالية ومن آيات الله , وان الله تعالى هو الذي خلقها ورفعها : " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ".[١]

وعند تحليل كلمة (تيان) في اللغة الصينية نجد انها تتألف من جزئين الاول يعني (الواحد) والثاني (الكبير) فيعني الواحد الكبير .[٢] وعليه يكون استعمال كلمة (تيان) تدل على الكائن المطلق وموجد الموجودات كلها , اي الاله الاكبر , وهو الذي اوجد الانسان وسائر الموجودات في العالم .[٣] وقد ورد في القران الكريم ما يخص صفة الكبير لله تعالى :" عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ"[٤] . وما يخص صفة الواحد فقد ورد في القران الكريم : " قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ "[٥] .

وقد ورد في الصين القديمة مفهوم التاو – وهو مفهوم قريب جدا من الاله الواحد– اذ يرد :

" هنالك شيء بلا شكل , موجود قبل السماء والارض

صامت وفارغ , قائم بنفسه ولا يحول

شانه الدوران بلا كلل , مؤهل لمعرفة العالم

لا اعرف اسمه فادعوه التاو

عظمه امتداده في المكان

الامتداد في المكان يعني امتدادا بلا نهاية

الامتداد بلا نهاية يعني العودة الى نقطة المبتديء ".[٦]

وعند تحليل هذا النص من جهة صفات الاله في الديانات الصينية نجد انه يحوي على الاتي :

١. الاله بلا شكل.
٢. موجود قبل الارض والسماء.
٣. ليس فيه مادة .

١ الزمر : ٦٧ .
٢ ناصر رحيم عجيل , التحولات السياسية والفكرية في الصين القديمة ٧٧١- ٢٢١ ق.م , ص ٧١.
٣ المصدر نفسه , ص ٧١.
٤ الرعد : ٩
٥ ص : ٦٥ .
٦ لاوتسو , كتاب التاو (تي تشينغ) , ترجمة وتقديم : فراس السواح , دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة : دمشق , ١٩٩٨, ص ٥٣.

٤. قائم بنفسه .

٥. لا يتحول.

٦. محيط بالعالم .

وعند تطبيق هذه الصفات على ما ورد من صفات الاله في الديانة الاسلامية نجد التي : ففيما يخص انه بلا شكل , فقد ورد في القران الكريم :" :" لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ "[١], اي انه ليس له شكل او حيز او مادة فيكون عرضة للاحتواء بالنظر او غيره .

وفيما يتعلق بانه موجود قبل الارض والسماء , فقد جاء في القران الكريم ان الله تعالى هو من قام بخلق السموات والارض فبذلك يكون موجودا قبل السماء والارض :" اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ " [٢].

وفيما يخص عدم احتواء الاله على مادة فقد ورد في القران الكريم ما يتعلق بذلك :" الله الصمد "[٣] , وجاء في تفسير الصمد انه " فسر بمعنيين عند العلماء: أحدهما: أنه الذي لا جوف له، ليس من جنس المخلوقين، المخلوق له جوف يأكل ويشرب ويطعم، والله لا جوف له مصمت"[٤].

وفيما يتعلق بالقيومية فقد ذكر في القران الكريم ما نصه :" اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ"[٥] وقد ورد في معنى القيوم :" البالغ النهاية في القيام بتدبير ملكه، القائم بذاته على الإطلاق، الغني عن غيره، المستند إليه كل ما سواه من الموجودات، فهو قائم بنفسه، سببٌ وقوامٌ لكل ما عداه، ولهذا بولغ في وصفه بالقيام " [٦].

وفيما يخص عدم تحول الاله في الديانة الاسلامية وانه ثابت ما جاء في القران الكريم :" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ "[٧], اي ان الله تعالى لا يجري عليه ما يجري على بقية المخلوقات من التغيير ونحوه .

١ الأنعام: ١٠٣ .
٢ السجدة: ٤ .
٣ الاخلاص : ٢
4 https://binbaz.org.sa/fatwas/10107/معنى-الصمد
٥ البقرة : ٢٥٥.
6 https://ar.wikipedia.org/wiki/(القيوم_(أسماء_الله_الحسنى
٧ الشورى : ١١

اما احاطة الله تعالى بالعالم فقد وردت في مواضع متعددة من القران الكريم , ومنها : " وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا"[١]. وعلى هذا الاساس نجد ان كثير من الصفات التي نحلى بها الاله في الصين هي موجودة نفسها في الديانة الاسلامية .

وقد جاء في الاساطير الصينية ان احدى الالهة التي تسمى (شن –تي) كانت تمتلك ثمانية اذرع .[٢] وعند محاولة ايجاد مساحة مشتركة مع الدّين الاسلامي في هذه النقطة نجد انّه ورد في القران الكريم :" وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ" [٣] , وقد ذكر في تفسير ذلك :" ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهنّ إلا الله. وقال آخرون: بل عني به ثمانية أملاك". [٤].

وهنا نجد ان كلا الجهتين– أي الديانات الصينية والاسلام – قد اعتقدت بوجود ثماني جهات للإله يحكم بواسطتها العالم ويدير بها نظام الكون , ويمكن حمل الاذرع في الفكر الصيني على الحمل المجازي , فأصل الفكرة موجود في كليهما . وفي نفس النقطة ورد في الاساطير الصينية وجود اشكال هندسية ثمانية خاصة بفلسفة التصوف [٥] , وعند محاولة ايجاد ما يطابق ذلك في الاسلام – اي الفهم الفلسفي او المجرد لمفهوم الثمانية – فقد ورد : " إن العرش خلقه الله تبارك وتعالى من أنوار أربعة: نور أحمر منه احمرت الحمرة، ونور أخضر منه اخضرت الخضرة، ونور أصفر منه اصفرت الصفرة، ونور أبيض منه ابيض منه البياض.

وهو العلم الذي حمله الله الحملة، وذلك نور من نور عظمته فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السماوات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المتشتتة " [٦].

١ النساء : ٢٦ .
٢ امام عبد الفتاح امام , معجم ديانات واساطير العالم , مكتبة مدبولي : القاهرة , ج ١, ص ٢٦٣.
٣الحاقة :١٧.
٤ الطبري , تفسير الطبري, جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق : بشّار عوّاد معروف و عصام فارس الحرستاني, مؤسسة الرّسالة: بيروت ، ١٩٩٤ , ج٢٣, ص ٥٨٣ .
٥ والتر فريش , اصول الحضارة الشرقية , ترجمة : رمزي يسي , دار الكرنك: القاهرة , ١٩٦٠, ص ١٢٦.
٦ الطباطبائي , الميزان , ج٨, ص ١٦١.

وقد ورد في الفكر الطاوي ان احد الالهة الذي يدعى (لي – كونغ) هو الاله الموكل بظاهرة الرعد [١], وبه يلقب : (سيد البرق) [٢] , اي ان هذه الظاهرة لم تكن دون اله يرعاها . وفي الديانة الاسلامية ايضا كان البرق تحت سيطرة الاله الواحد وهو الذي خلقه ويوجهه فقد ورد : " وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ " [٣] .

كما ذكر في الفكر الطاوي نصوص عديدة حول الجهة التي خصها بالعبادة :

١. " للتاو واقع ودليل ولكن لا فعل ولا صورة يبتعد خلال الاشياء ولكن لا يمكن تلقيه , يتحقق ولا يرى وجد بنفسه وبواسطتها : قبل السماء والارض هو الذي اعطى الارباب الوهيتهم ومكن العالم من الظهور ليس عاليا مع انه في السمت ولاواطيا مع انه في الحضيض .[٤]

وفي الديانة الاسلامية جاء في صفات الله انه لا يمكن ان يحويه مكان او يشارك مخلوقاته في حيز او مكان , وانه وجد دون واسطة بل بكيفية هو يعلمها , وهو الذي مكن الكون من الظهور , وكل من يعمل في تدبير الكون هو موكل من عنده :" وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ" [٥]

٢. " التاو في كل مكان " . [٦] وفيما يخص هذه النقطة فقد ذكر من جهة الدين الاسلامي : " فالله موجود قبل الزمان والمكان وهو خالق المكان والزمان ولا يحتاج إلى الزمان ولا إلى المكان، فهو موجود بلا كيف ولا مكان ولا يجري عليه زمان، لا يقال متى كان وكيف ولا أين ولا يقال في كل مكان، بل يقال الله موجود بلا كيف ولا مكان ولا يجري عليه زمان"[٧] .

٣. التاو جاء الى الوجود بنفسه .[٨] وذكر ايضا : " انه ليبدو ممكنا ان ثمة ربان حقيقي, الا اننا لا نجد اثر لوجوده ويمكن للمرء ان يتصور ان هذا الديان قد تمكن من الفعل الا اننا لا نرى صورة فعله "

١ ا امام عبد الفتاح امام , معجم ديانات واساطير العالم , ج٢, ص ٣٠٨.
٢ ماكس .شابيرو – رودا . هندريكس , معجم الاساطير , ترجمة : حنا عبود , دار علاء الدين: دمشق , ٢٠٠٦, ص ١٥٧.
٣ الرعد: ١٣.
٤ هادي العلوي , المستطرف الصيني , دار المدى : دمشق ,١٩٩٤, ص ١١١.
٥ الانعام : ٦١ .
٦ هادي العلوي , المستطرف الصيني, ص١١٢.
7 https://www.islam.ms/ar/الله-موجود-بلا-كيف-ولا-مكان
٨ هادي العلوي , المستطرف الصيني, ص ١٢١.

[1]. وهذه النقطة واضحة جدا في الدين الاسلامي اذ انه لا يمكن مطلقا تصور الاله انه ممكن الوجود , بل انه واجب الوجود بنفسه بكيفية لا يعلمها الا هو .

٤. " شيء ما شكل في السر ولد قبل السماوات والارض في الصمت والخلاء . احديا لا متغير حاضرا ابدا ومتحركا ابدا . قد يكون هو الام للقسوة الاقسي انا لا اعرف اسمه لكني اسميه التاو ولا اجد كلمة افضل ادعوه ذو الجلال " .[2] وهنا نقول ان من صفات الاله في الاسلام انه احدي وانه موجود قبل السموات والارض وهو ذو الجلال والاكرام.

٥. " يزول البدن ويبقى التاو ". [3] وهنا نجد ان هذه الصفة موجودة تماما في الدين الاسلامي اذ ان الانسان فاني والله هو الباقي , من غير مساوقة او مكافئة بين الجهتين , كما ورد في الآية :" وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"[4] .

٦. جاء في احد التراتيل التاوية :" الى السماء الواحد الاعلى الاسمى ذو الجلال يهبط على الاكمة المركزية عسى ان يسود الطهر والانسجام".[5] وهذه تشمل صفات الهية موجودة جلها في الديانة الاسلامية منها : الواحد والاعلى والاسمى وذو الجلال , مع دعاء ان يعم الاله السلام على الارض . وعند ايراد الآيات التي وردت فيها كل من الواحد والاعلى والاسمى وذو الجلال بالترتيب نجد الاتي :الواحد : " لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ "[6] . الاعلى : " سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى "[7] . ذو الجلال : " تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ "[8] .

١ المصدر نفسه , ص١٢١.
٢ المصدر نفسه , ص١٣٩.
٣ المصدر نفسه , ص١٩٢ .
٤ القصص : ٨٨ .
٥ هادي العلوي , المستطرف الصيني, ص ٢٢٧.
٦ الزمر : ٤.
٧ الاعلى : ١ .
٨ الرحمن : ٧٨ .

٧. ورد في الديانة الصينية ان رب السماء هو سيد الالهة والانسان وملك الموتى وصانع الملوك والقاضي الذي لا يعلى عليه , ويدير الامور بواسطة مندوبين مجهولين .[١] ولا نجد اكثر مطابقة على ما ورد في هذه النقطة من القران الكريم :" وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ" [٢] .

المحور الثاني – التشابه في عملية الخلق الكونية

عند تتبع اوجه التشابه فيما يخص خلق الكون في الديانات الصينية والاسلام , فقد ورد في الحكمة الصينية تقديس المياه ورفع منزلتها اذ نقل عن (لو – دزه)[٣] : (ليس في العالم شيء الين او اضعف من الماء , ولكن لاشيء اقوى من الماء في فعالية الاشياء الصلبة).[٤] وقد ورد في القران ما يخص المياه واهميتها :" وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" [٥] . وجاء ايضا :" وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ "[٦] . كما ورد : " وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا" [٧] . علما ان مفردة الماء قد وردت (٥٩) مرة في القران الكريم وجميعها دلت على اهميته ودوره الرئيس في بداية الحياة وديمومتها .

وجاء في الاساطير الصينية ان السماء والارض كانتا قديما ممتزجتين امتزاجا لا انفصام له , كبيضة الفرخ وبعد (١٨) الف سنة تفتقت هذه الكتلة البدائية وانقسمت الى جزئين فالجزء البراق اللطيف اصبح سماء

١ اندريه ايمار- جانين اوبوايه , تاريخ الحضارات العام , ط٢, منشورات عويدات : (بيروت – باريس) , ١٩٨٦, ج١, ص ٥٩٩.

٢ الانعام : ٦١ .

٣لا وتسو : " كان فيلسوفاً صينياً قديماً وشخصية هامة في الطاوية (والتي تسمى أيضاً داوية .(Daoism كلمة لاوزي تعني حرفياً "السيد العجوز" وتعتبر عموماً لقب تفخيم. وحسب الموروث الصيني، فقد عاش لاوزي في القرن السادس قبل الميلاد. ويجادل العديد من المؤرخين بأنه في الواقع لاوزي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، متزامناً مع مدارس الفكر المائة و فترة الدول المتحاربة. ". ينظر : https://www.marefa.org/لاوزي

٤ كامل سعفان , معتقدات اسيوية , ص ٢٦٤.

٥ الاعراف : ٥٧ .

٦ هود : ٧ .

٧ الفرقان : ٥٤ .

والجزء المظلم الكثيف شكل الارض.[١] كما كانت الارض والسماء في الدين البدائي الصيني مرتبطتين احداهما بالاخرى لانهما شطران من وحدة كونية عظيمة [٢].

وعند مناقشة ذلك فيما جاء في القران الكريم وقد ورد فيما يخص هذه النقطة في الدين الاسلامي ما جاء في القران الكريم بقوله تعالى :" أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ " [٣] .

كما ذكر في الاساطير الصينية ان احد الافراد هو المسؤول عن شطر السماء وابعادها عن الارض وهو (يان قو) الذي قام بفصل السماءعن الارض .[٤] وهذا الامر موكول بالله تعالى كما ورد في القران الكريم اعلاه.

كما تضمنت الفلسفة التاوية الصينية ان الوجود قائم على الثنائية بين الين المبدأ الانثوي واليانغ المبدأ الذكوري .[٥] وهذا الامر موجود في القران الكريم :" وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" [٦] , اي ان مبدء الزوجية موجود في الديانة الاسلامية وهو قانون كوني حاكم .

وفيما يخص الطوفان فقد ورد في الكتابات الصينية القديمة حدوث طوفان مدمر في الصين .[٧] كما ورد ذكر الطوفان في نص صيني قديم يعود الى القرن ٢١ ق.م اذ يذكر هذا النص :" فعندما يحيط بنا الطوفان الكبير ابتلاءا محتوما " .[٨] وقد ورد حدوث الطوفان في الديانة الاسلامية وانه كان عقوبة الهية للبشر الذين لم يتبعوا دعوة احد انبياء الله تعالى وهو النبي نوح (ع) , حيث يرد :" فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ

١كامل سعفان ,معتقدات اسيوية, ص ٢٥٤.
٢المصدر نفسه , ص ٢٤٩.
٣ الانبياء : ٣٠ .
٤خه جاو - بو جين جي - تانج يو يوان- صون كاي تاي, تاريخ تطور الفكر الصيني ,ترجمة : عبد العزيز حمدي عبد العزيز , المشروع القومي للترجمة : القاهرة , ٢٠٠٤, ص ٣١.
٥كامل سعفان , معتقدات اسيوية , ص٢٩٢.
٦ الرعد : ٣.
٧ ماكس شابيرو , معجم الاساطير , ص ١٨٧.
٨ ناصر رحيم عجيل , التحولات السياسية والفكرية في الصين القديمة ٧٧١- ٢٢١ ق.م , ص ٧٢.

بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ"[١].

كما جاء في الاساطير الصينية وجود احد الالهة والمسمى (اره – لانج) ومعنى اسمه السيد الذي قام بانقاذ المدينة من الطوفان .[٢] وهنا نجد امرين اثنين :

- الاول ان الاله هو الذي انهى الطوفان .
- الثاني ان اسمه السيد .

وقد ورد في القران الكريم حول ذلك :" وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ "[٣] .

وفي موضع اخر فقد جاء في الاساطير الصينية ان الغراب هو طائر مقدس .[٤] وقد ذكر الغراب في القران الكريم وانه قام بتعليم البشر مهارة وعملية دفن الموتى , اذ يرد :" فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ"[٥] .

وفيما يخص التقويم السنوي وتقسيمه الى اثني عشر شهرا فقد ورد في الاساطير الصينية القديمة ان الاله اخترع الفروع الاثني عشر التي اصبحت فيما بعد اساسا للتقويم الصيني .[٦] وفي الديانة الاسلامية ورد بخصوص ذلك :" انَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ "[٧] .

١ المؤمنون : ٢٧

٢ امام عبد الفتاح امام , معجم ديانات واساطير العالم , ج١, ص ٣٤٩.

٣ هود : ٤٤ .

٤ شابيرو ,معجم الاساطير , ص ٢٧٨.

٥ المائدة : ٣١ .

٦ والتر فريش , اصول الحضارة الشرقية , ترجمة : رمزي يسي , دار الكرنك : القاهرة , ١٩٦٠. , ص ١٢٦.

٧ التوبة : ٣٦ .

وفيما يتعلق بنشأة الارض فقد ذكر في الفكر الديني الصيني ان اصل النشأة في الماء والنار اللذين كانا قبل كون الاشياء , وقد تكونت الارض من ترسب هذه المياه البدائية .[١] وفي هذا الجانب فقد وردت اهمية كبيرة لكل من النار والماء في الديانة الاسلامية ايضا اذ ذكرت النار في القران (١٤٥) مرة كعقوبة وكاستفادة , فضلا عما ذكرناه اعلاه من اهمية الماء , ولعل اكثر امر ركز على اهمية النار والماء في القران الكريم هو الآية القرانية :" أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ "[٢] .

الخاتمة

بعد اكمال البحث يمكن استنتاج ابرز الافكار التي وردت فيه :

١. عرف الفكر الديني الصيني القديم مفردة (تيان) وتمثل القوة فوق الطبيعة والتي تتحكم اقدار الناس و تعني السماء . وقد وردت نفس الفكرة في الديانة الاسلامية بوجود اله اعلى واسمى مهيمن على الكون كله .

٢. ان من صفات التوحيد الديني وجود اله واحد ، ولكن بصفات متعددة ، ونفهم من ذلك انه في حالة وجود أكثر من اسم للإله الواحد فهذا لا يعني تعدد الآلهة بتعدد الصفات والأسماء ، بل يعني أن هناك اله واحد ولكن بصفات متعددة وهذا الامر جاء متطابقا جدا مع الدين الاسلامي الذي يقر بصفات متعددة واسماء متعددة لإله واحد هي عين ذاته .

٣. ورد في الاساطير الصينية ان السماء والارض كانتا قديما ممتزجتين امتزاجا كاملا , ثم انفصلت هذه الكتلة البدائية , ثم انقسمت الى جزئين فالجزء البراق اللطيف اصبح سماء والجزء المظلم الكثيف شكل الارض. ونفس الفكرة تماما وردت في الديانة الاسلامية بان الارض والسماء كانتا متصلتين ثم انفصلتا بعد ذلك .

١ هادي العلوي , المسنطرف الصيني , ص ٨٢.
٢ الرعد : ١٩ .

٤. ذكر الطوفان في الكتابات الصينية القديمة , كما حدد تاريخه في نص صيني قديم يعود الى القرن ٢١ ق.م . اما في الديانة الاسلامية فقد ذكرت قصة الطوفان في مواضع متعددة في القران الكريم .

٥. جاء في الاساطير الصينية وجود احد الالهة المسمى (اره – لانج) ومعنى اسمه (السيد) الذي قام بانقاذ المدينة من الطوفان . وفي الاسلام ورد ذكر النبي نوح الذي قام بإنقاذ البشر والحيوان من الهلاك بالطوفان .

قائمة المصادر

- القران الكريم

١- امام عبد الفتاح امام , معجم ديانات واساطير العالم , مكتبة مدبولي : القاهرة , ج ١, ج٢, ج٣.

٢- ان شنغ , تاريخ الفكر الصيني , ترجمة : محمد محمود , المنظمة العربية للترجمة والنشر : بيروت.

٣- اندريه ايمار- جانين اوبوايه , تاريخ الحضارات العام , ط٢, منشورات عويدات : بيروت – باريس , ١٩٨٦, ج١.

٤- خه جاو – بو جين جي – تانج يو يوان- صون كاي تاي, تاريخ تطور الفكر الصيني ,ترجمة : عبد العزيز حمدي عبد العزيز , المشروع القومي للترجمة : القاهرة , ٢٠٠٤ .

٥- كامل سعفان ,معتقدات اسيوية , دار الندى : القاهرة .

٦- لاوتسو , كتاب التاو (تي تشينغ) , ترجمة وتقديم : فراس السواح , دار علاءالدين للنشر والتوزيع والترجمة : دمشق , ١٩٩٨.

٧- ماكس .شابيرو – رودا . هندريكس , معجم الاساطير , ترجمة : حنا عبود , دار علاء الدين : دمشق , ٢٠٠٦ .

٨- ناصر رحيم عجيل , التحولات السياسية والفكرية في الصين القديمة ٧٧١- ٢٢١ ق.م , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية – جامعة واسط , ٢٠١٨ .

٩- هادي العلوي , المستطرف الصيني , دار المدى : دمشق ,١٩٩٤.

١٠- والتر فريش , اصول الحضارة الشرقية , ترجمة : رمزي يسي , دار الكرنك : القاهرة ,١٩٦٠

١١- ويل ديورانت , قصة الحضارة , ترجمة : زكي نجيب محمود , بيروت .